

## ناصر قنديل

حديث الجمعة هذا الأسبوع، غنّي غنى تَمَوَّنَ بذكريات نوابغ لهم بصماتهم في هذه الحياة، أبرزهم الزعيم أنطون سعادة والعلامة محمد حسين فضل الله والشهيد غسان كنفاني، وقد خَصَّصنا لهم في الصبّاحات ما تيسَّر لنا من كلمات. كما أنّ حديث الجمعة اليوم غنّي بالمشاركات، فمع سحر ورائيا، نجد رشا وأيضا بشرى، وقبل الرياضيات في الكلام، لنا وقفة مع الحبّ وما حوله في «قالت له».

### ياسمين دمشق وصبار كاليفورنيا

- القيمة التاريخية والجغرافية للمدان، يقزرها توازن المناخ فيها ودرجة استقرار التربة وانتظام الفصول واعتدال الحرارة، والقرب من مياه البحار، وتوسط جغرافيا الجبال والصحراء وخصب الأرض، وتوافر المياه وامتلاك مخزون ثقافة متنوّع متجدّر بين سكانها، ينمو عبر آلاف السنين. ولا يهّم أن يدعى كل لبلده مكانة مميزة، فتلك وطنية لا تعيب صاحبها، لكن بلاد الشام وعاصمتها دمشق هي بلا تردّد الأعلى قيمة في الاستراتيجية بين بلاد العالم، حتى يصحّ القول: يحتل العالم من يحتل دمشق ولو لحين. لذلك ما نهضت امبراطورية إلا وكانت عليها على دمشق، وما رحلت امبراطورية قبل دخول دمشق إلا وكان تاريخ عظمتها ناقصا... ستبقى غضة العظمة الأميركية أنها حكمت العالم ولم تستطع دخول دمشق ولا إخضاعها... وخلال عشر سنوات، سعت أميركا لتحكم العالم من دمشق، وتكسّرت حملاتها الإمبراطورية على أسوار الإسد... فهل حدث أن حرك الأميركيون أساطيلهم نحو بلد وعادوا منسحبين من دون أن يطلقوا طلقة واحدة إلا مع سورية؟.. تاريخ السقوط الأميركي الإمبراطوري سيدونّ مع فشل الحملة التي استهدفت سورية... وصمدت دمشق وانتصر بياض ياسمين الشام على شوك صيّار صحاري كاليفورنيا.

### العلامة الهادئ

- تحلّ الذكرى الخامسة لرحيل علم من أعلام الفكر الإنساني والديني والمقاوم هو العلامة السيد محمد حسين فضل الله، الشخصية التي جمعت الفكر والفلسفة للمفاهيم والقيم الأخلاقية والإنسانية، وأعدت لتقديم الإسلام كحرية لا تتجذّر في الفكر، وتتفاعل وتنمو وتطلق حالة تجسّد مقاومة من جهة، وحوارا عقلانيا هادئا ومتصلا قادرا على وضع الغيبيات والإيمان بها في القلوب والمفاهيم والأفكار بشجاعة المقارنة أو القبول أو الرفض في العقول. ولقد جمعتني بالراحل الكبير علاقة وجدان وحبّ وحوار عمرها 35 سنة. كان الشهيد القائد عماد مغنية شريكا في سنواتها العشر الأولى، وكانت جلسة الدموع على غيابه واستشهادته التي جمعتنا على الذكريات المشتركة ليتبعه سماحة السيد بعد سنتين، تاركا وراءه مصطلحات تختصر فلسفة وفيلسوفيا. فهو صاحب مفهوم الحالة الإسلامية ومفهوم تنفس الفكر في الهواء الطلق، وعودة إخراج الإسلام من عبية الخرافة والأصنام وترك المياه النقية تتدفّق في شرايينه... رحل الله أيها الغالي، وفي ذكراك يخفي الشعور بالافتقاد.

### كفى تشكيكا

- بعد سقوط إدلب وجسر الشغور وتدمر وبصرى الشام، قلت إنّ حسم القلمون هو الخيار الاستراتيجي لحسم الحرب. إنّ الانتصارات ستتدرّج في رمضان نحو الزبداني ولن تنتهي بدوما، وتستمر من درعا إلى حلب... قال الكثيرون رفع معنويات... نسحم أقوالا ونريد أفعالا... وقالوا حزب الله وإيران وروسيا باعوا سورية وتخلّوا عنها... لن يشهد تفاصيل معركة الزبداني يسهل عليه أن يكتشف كيف أنّ الدم المقاوم والسلاح الروسي والتمويل الإيراني يمتزجون مع بطولات الجيش السوري لصناعة مشهد يصيب الأعداء بالذهول، لما لم يسبق أن عرفوه في المواجهات السابقة... فيا أيها السوريون قيادكم وجيشكم يحسمان اختيار التحالفات والتوقيت أيضا... بعض من الثقة العمياء بلا شروط مطلوب في الحروب كما هو مطلوب في الحب... أنظنّ لئن الحقّ أنّ نقول للمشكّكين كفى!

### سكون وسكينة

- أصل الصداقة وأصل الأخوة وأصل الحبّ وأصل الرفقة الحسنة، درجة السكينة التي تمنحها للنفس البشرية. فكل من يسود التوتر في تواصلنا معه مهما قلنا في سرّنا إننا به متمسكون وتعجز عن منحه السكينة ولا نجدنا معه. يجب أن نعتزف أننا إضافة زائدة في حياته أو هو إضافة زائدة في حياتنا، أو هو يدفع عن سنوات معنا ونحن نخشى ما نلغله واهمين حرمانه من نعمة وجودنا أو العكس، نحن ندافع عن سنوات عمرنا التي استثمرناها وذاً ورفقة وشراكة معه، وهو يفترض واهما أنه يحفظ لنا نعمة حضوره وللنعمة عائدات فنلغنها أو نلغنها مصدر حياة. فلنراقب درجة السكينة ومصادرها في حياة البشر، نعرف درجة الأهمية للأخرين في حياتهم، ونقيس على أين نحن بينها أو نقيس من منحنا السكينة وآين الآخرين منها وفيها وبُعدها. فنسلم لحقيقة أن للصدقة والرفقة والشراكة والحب أعمارا وأمراضا، وإنها تصل بأمراضها إلى درجة اللاشفاء، أو أنها تموت ونحن نصرّ على بقائها على قيد الحياة، وفي هذه الحال فلنملك شجاعة التسليم ونحلّ السكون. والسكون غالبية صمت، والصمت موت هادئ أو نوم طويل وتأسيس للغة الواقع العائد للصلحة بجرأة... من دون اعتبارها إساءة ورخصا في العلاقات، لأنها تبقى المفيد المتبادلي في

## البناء



## قالت له

- قالت له: من أين يأتي هذا السحر بيننا فيقوى على البُعد والمسافات، وترانا نحتاج بعضنا بعضاً، لو لكلمة أو إلقاء حيةٍ نجد فيها معنى لبِقائنا على قيد الحياة، فأشعر أنني مرّات أحيأ فقط لأنتظر منك صباحاً لطيفاً أو سوّالاً خفيفاً أو تعليقا سخيفاً.

فقال لها: لأننا استنفدنا مع بعضنا لعبة العقل في زمن قياسيٍ تختصره النظرات، للتصديق على أننا متفقون مع التلفظ بالكلمة الأولى من الموقف من أي شأنٍ حتى لو كان عن علم الألوان أو الأنواق، أو طباع البشر. فنحسّ أنّ لا حاجة ليشرح أحدنا ذاته للأخر، أو أنّ يفسر عن ذات هذا الآخر. فهو موجود في نسيجهما يعرفها أكثر مما يعرفها صاحبها. ولأنّ الكلمة الطيبة التي خلقت في اللغة لا يحسّ أحدنا أنها خلقت إلا ليستعملها في منادة الآخر، والتعليق بالذهول للجمال قلباً وقالباً يطغى على العين قبل اللسان، كأننا مولودان من آلاف السنين في حياة واحدة، وقد عدنا نستكمل ما فاتنا. لا نحتاج قرب مسافة ولا السكن ولا أدوات التلاقي التي يحتاجها رجل وامرأة. فنحن مكتفيان من كل شيء، ومحتاجان لبعض في كل شيء، ولا ينقص أحدنا على الآخر مقدار ذرّة من حرص على القيام بما عليه في الحياة، طمعا بوقته واهتمامه. ولا يبخل بالغياب تسهيلاً لإنجاز الواجبات على رغم حاجته للحظة الشوق تبرق بها العيون أو تلتفّ إليها الشفاها.

فقالت: وهل سيأكل الزمن ما بيننا؟ وهل سيصيبنا الملل؟ وهل سيكون سواي أو سواك وهي مجرد دورة تستهلكها الأيام تذهب بنا كما جاءت بنا إلى دوران لا ينتهي؟

فقال لها: كل دوران ينتهي. وأظننا التقينا في نهاية الدوران.

فاستدارت نصف دورة حتى لا مست ككتفها كرسّيها وقالت: لو حسبتك قربي لأكملت الدوران حتى أقع بين يديك.

فقال: أو نقع بين يدينا!

- قالت له: هل يمكن أن يعيش الحبّ في ظلّ الاختلاف؟

فقال لها: هو يعيش حكما عندما يسير باتجاه الطريق إلى الاتفاق. أما الحبّ المنتقل نزولاً من الاتفاق إلى الاختلاف. فهو عقدة شائكة يصعب منحه وصفة جاهزة إذا أصاب اللغة رذاذ الاختلاف. فتجمدت فيها شرايين الماء وصارت ياسا بدل الاخضرار، وجر صوان بدلأ من طين الحياة. أو صار في إبريقها الماء مكان الفخار، وفي بريقها بدلأ من الوذّ الشجار.

فقالت: لكن يبقى للقلب نبضا.

وقال: يبقى للوطن أرض.

فقالت: والصلّة بينهما؟

فقال: مكوّرات لا تتلاشى، لكنها تختلف بين نبض ذكرى حزينة ومجرد ثقة باليد الأمانة، بعدما كان النبض فرحا للقيا الابتسامة، أو دمعة على الباب مع طلب السلامة.

فقالت: ولأنه يصعب الاستدلال؟

فقال: صعب هو الشعور بالاستبدال.

فقالته: أنا لا أريد أن أختم المقال.

فقال: إنّت تطلبين من كل شيء محالا، وتريدين مني أن أكون شهيداً تصنعين له تمثالاً، ولا مكان عندي لوضع الأوسمة على صدري، ولا أنتظر تبدلات نشرات الطقس التي قهرتني حتى بقية عمري. فتعالى لسكينة تحتاجينها وأريدھا بترك الكلام لحيث تجدين فيض الموسيقى بسماع العبارة، ودعيني أتكلم لمن ينتظر كلامي بالإشارة. فقد تباعدنا حتى صار شعارنا بعد كل حوار أو شجار وقف الكلام وطلب السلام، فرايتي ببيضاء لأن معك لا مكان للسلام وھا أنا أعلن الاستسلام. فهل من شروط أو قعھا؟

فقال: منحتك ميداليتي وھا أنت توقعھا. وتلفتت وتمتمت كلمات بلغة لم يسمعھا من قبل، ولم يفھمھا، وأحسھا تطير كعصفورة تذهب إلى دفا بعد مواسم الهجرة والصقيع، وھو يحمل بين يديه لها بحر دعاء لا يشتري ولا يبيع.

## رياضيات في الكلام

● لا تصدّقوا ادّعاءاتكم لتبرير مواقفكم. فأصل الاختبارات من القلب يجد لها العقل تبريرا وتفسيرا. ولما يعجز يضعها في مصاف الروح، ويجعل منها عقيدة منعا للنقاش.

● لا يسمح آثار حرب فاشلة إلا بالحرب التي يكون الانتصار فيها مدوياً. ولا يحو شحوب حبّ مضى إلا ولادة حبّ يشعّ نصارة حتى الإبهار. ولا ينشغل المؤمن عن الصلاة إلا بالحرب أو الحبّ أو كليهما.

● لا يفرّق بين العقول والقلوب إلا كسلّ التعلّم وتسرع الوصول. ووحدهم المثابرون لا يفترقون. إذا كان لمثابرتهم وجهة واحدة هي العلم، وإلا فلا يلتقي مثابر للعلم بمثابر للمال، أو مثابر للجاه. وأخطر طلب للجاه إبهار ادّعاء التواضع. وأخطر ادّعاء للعلم ما يستهلك الوقت والنفس ويطنى على العقل ولا ينفع الناس في مجاهدة المرض والحاجة والخطر والفقر والقلق، كعلماء الكلام والفلسفة إذا انفصلت معارفهم عن الخدمة. فكيف إن كان العلم من الأذن لا من العين، علم سماع لا قراءة!؟

● المودّة غير الصداقة غير البنوة غير الحبّ غير الأخوة وأشكال القرى من الدم والرحم. ولكل الأنفياء في حياتنا صفة من هذه، وجب علينا إيفاؤها كحقّ مستحق شرط الوضوح. والعشرة والمعرفة وحدهما ترتبان حقوقا لا يجوز إنكارها. ووحدهم المغرورون والوصوليون أو الجاهلون بملح الحياة، المستخفون بمعنى السكينة كحقّ للناس، يستعملون العلاقات ويمخونها صفات، ويبادلون بينها ثم يستسهلون الانصراف بجفاف.

### 2015/7/3

علاقة تحترض. فإن كنتم تحبّون بصدق وتعجزون عن منح السكينة فامنحوا السكون... صباح سكون أو سكيّنة... فيرومك صباحك أحلا!

### ما قل ودلّ

- الفصاحة والقدرة على التعبير موهبة وكفاءة تطورها، وتمتّع بحسن استخدام اللغة وتصنيف المعلومات واستعدادتها عند الحاجة لشرح فكرة، وامتلاك قدرة الإقناع لتقديمها بصدق وحرارة مشاعر تدخلها إلى العقول والقلوب، وحسن تعلّم مستديم لبلوغ مراتب أعلى في العلم وتواضع في الحوار، وتبسيط للافتان. وشرطها الإقلال في الكلام كلما صغر عدد المتلقين والمستمعين، والاكتفاء بتقديم رؤوس أقلام، والتوسّع والتبحّر في الشرح كلما زاد العدد. وكلما صارت أوقات المتحدث معكوسة التوظيف تستهلك ساعات في نقاشات فردية عقيمة، وتتكلّف إلى الاختصار أمام العموم والكثرة صارت لغواً وادعاءً فارغاً وغيابا للفضية. وكلما بالغ المتحدث في الرغبة بإطالة النقاش الفردي وافتقد لحضوره بين الجماعة متحدثا، صارت ثرثرة وأنا مريضة تخوض حربوا عبثية للإثبات الذات، مهما ادّعت فهما وعلما وامتلاكاً للحقائق، وصارت ميدانا لإصدار الأحكام وتحليل الظواهر من دون اطلاع ومعرفة، كمناقشة نظرية آينشتاين عن النسبية من شخص لا يعرف عنه إلا ما سمع... فأحذروا من أن يضيع وقتكم في المهاترات لأنها أسلوب حياة الكسالى الذين لا يستفيد وقتهم تعب العمل ولا يقربون أوقات الغير وأشغالهم. والذين يعيشون هوسا باوھام ويعتبرونها قضايا عظيمة ولديهم الوقت والترف الكافين للتلهي بها عن هموم الحياة وهموم الناس. فأتصاحوا من تحبّون بالابتعاد عنها وقولوا لهم لا بارك الله بنقاش ساعاته أكثر من حاجاته، كما قال البدو قديما: «لا بارك الله بالعرزمة التي خطواتها أكثر من لغماتها». بارك الله صباحاتكم بقليل الكلام مهدوء وسكينة.

### 2015/7/8

### غسان العابق دائما

- قالت «أم سعد»، إن الحياة خارج الوطن موت. كما كتب بلسانها غسان كنفاني، هذه الزيتونة الفلسطينية المضيئة بنور لا ينطفى، الراحل مبكرا بسيارة مفخخة ورّعت أشلاءه على جدران بيته أمام عيون زوجته وأبنائه صبيحة الثامن من تموز قبل أكثر من أربعين سنة، وما زال غسان حيا لأن الروح تبقى غربية تعلق عندما تموت، حتى تعود إلى الوطن كما قال زميله وشريكه في العشق الراحل قبل أيام عمر ألفرا. وغسان الليمونة الباقوية الطازجة، برتقالة فجر لم ينباح بعد، لكن طلائع فوح زهره تملأ المكان منذ تحرّر الجنوب على ايدي المقاومين. والفلسطينيون خصوصا في الجليل وحيفا وبأفا الذين باعهم العرب وباعتهم القيادات الفلسطينية ياملون يوما تخفف المقاومة من عبء السمّ الذي يدسّ صباحا ومساءً في صحن طعامها وتحت وسادة نومها وفي إبريق ماثها وبين ثنابا الهواء الذي يعيق في دارها، كي لا تحضر تلك اللحظة التاريخية التي بشر بها غسان، اللحظة التي يتعاقق فيها التاريخ مع الجغرافيا وتنطلق الرنتان بلا توقف عن التنفس من هواء تظليل بشقائق فلسطين، وقد تعبت من هواء أصفر لم تعد تميّز فيه بين ما مصدره العدو والشقيق، وقد صارت عبئا على كليهما. واحد تُوّرّقه بنورتها والثاني تُوّرّقه خيائته وفضيحتها لخذلانه. ويوم يعود غسان سيُزهر ليمون بأفا وزيّنون الجليل، وتعلو صيحة الأطفال تحت الشمس كما راهم يلعبون ويرسمون وتتجدس رواياتہ حلم حياة.

### شرف الموت من أجل عقيدة

- في تلك الليلة الحالكة، وقيل أن أحضر أضواني، أراودا اختلاس لحظة لا يدونها التاريخ، فجمّعوا كل ما لديهم من مكر وخداع، ولقنوا السجان والكامن أسماء غير الاسم الحقيقي، وقضية غير القضية الحقيقية. وراهنوا على الظلام والخوف والهلع والأسرار، وجاؤوا يستعجلون كل شيء. أبطلوه وساقوه إلى المنصّة، وساروا سريعا بين التلال. وقرب باحة ضيقة، نصّبوا عوينا خشبيا، شدوا إليه وثاقه، وأطلقوا النار حتى تنفض صدره وتشتتت يداه. فقد كانوا يريدون أن عقله لا يصاب بالرصاص، وأنهم يخشون قلبه، ويخافون انفاسه، واليد التي تكتب، واليد التي تمسك الزناد، لكن أنطون سعادة كان قد كتب وهم يقرأون: سيخجل التاريخ من هذه الليلة، ولا يهمني أن أموت، إنما المهم من أجل ماذا أموت... أنا لا أعدّ السنين التي عشتها بل الأعمال التي نفّذتها... كلنا نموت لكن قليلين منّا يظفرون بشرف الموت من أجل عقيدة... يبدو أنّ الاستقلال الذي سبقناه بدمائنا يوم غرستاه بنسنتقى عروقنا من جديد... وما زالت عروق المقاومين تسقي شجرة الاستقلال الذي يتبع كي يولد تظليفا نقياً طاهرا، وتتقدّم الدماء للدماء كما توقع سعادة أن أبناء عقيدته سينصرون، وسيجىء انتصارهم انتقاماً لموته... ويكشفون عندئذٍ معنى الفارق بين شهيق اللحظة الأخيرة والزفرة التي تلتها.

سحر عبد الخالق

## سموّ التضحية

بين الأوّل من آذار والثامن من تمّوز، حكاية رجل تختصر حياة أمة. إنسان تصغر أمامه الألقاب لتعظم الموافق. فهو الزعيم والمفكّر والقائد ومستشرق الأخطار قبل حدوثها. إنه أنطون سعادة. فان يحذر شاب في الثامنة عشرة من عمره، في كتاباته من البرازيل بين عامي 1922 و1923، من ويلات «سايسكس بيكو»، ومن «وعد بلقور» المشؤوم، وما سيحمله ذلك من تهديد حقيقي ومخاطر على الأمة السورية وأرضها وخيراتها. لأمّ أُرهب الأعداء والمستعمرين، القدماء والجدد الآتين بمشاريعهم الاحتلالية -الاستيطانية نحو الأمة جمعاء.

نبوغ هذا الشاب سيزهر براعم حزبية في عقول الناشئة، وفي عقول «أجيال لم تولد بعد». لقد استند سعادة إلى حضارة هذه الأمة، وعراقتها، وتاريخها، وانطلق من حاضرها ليرسم مستقبلها، فكان قوّة حقّ عاتية في وجه الأعداء، وحلم أمة مهقورة بسبب فساد حكامها وتعصّبهم الطائفي العفن، وهدرهم موارد الأرض السورية على أهوائهم وعروشهم. إن أعداء الداخل تأمروا مع أعداء الخارج على اغتيال الزعيم أنطون سعادة، لكنهم لم يفتألوا رجلاً، بل ظلّوا أنهم، باغتياله، يحطمون نهضة أمة أجيالاً وأجيالاً! لكنهم تجاهلوا أننا أمة حية تريد الحياة الحرة الجميلة، تحب الحياة لأنّها تحب الحرّية، وتحب الموت متى كان الموت طريقا إلى الحياة.

هذا بعض ممّا قاله سعادة الذي حذّر من كل ما تعانیه الأمة اليوم، لا سيما حركات التطرّف الديني، «إن العصبية الوهابية تنذر الشعوب حول بلاد العرب بخاطر حرب مدامه»، غير أنّ الأخطار مهما اشتدت، فإنها تتلاشى أمام المؤمنين بان الدماء التي تجري في عروقنا ليست ملكا لنا، بلّ هي وديعة الأمة فينا متى طلبتها وجدتها، وإن قضيتنا فيها كل الحق والخير والجمال والعدل الاجتماعي.

لقد قيل الكثير وكتب الكثير في سيرة هذا القائد، وفي مسيرته، وتاريخه، وفكره، وعقيدة حزبه، ولكنه كتب بدمائه ما لم ترق إليه لغة أو كلمات. هكذا استشهد، غدراً وغيلة، الزعيم الخالد أنطون سعادة، لتحيّا الأمة... فإين نحن من عظمة شهادته، وسمو تضحيته؟

سحر عبد الخالق

### أنا سوریة

سال العطاء من أعطاء؛ ما ذنبني عندك لم أصن؟ ألأنتي بك ونقت وخلصك أنك المحترم؟ جعلتك قبلة اهتمامي ولم أزل، لم أعرف أنتي بفعلتي كبر عندك حجم الأنا وصار أحب إليك مني أنا؟
سال الود من وده؛ لما كنت لودي متفكراً؟ وددت لو أن ودي إلى روحك توصل، لكنني عرفت أن ودي لغير من قصدته قد تصد. فإ ويا وأحسن في القادم انتقاء المستحق وذك، وأعطه لمن هو بالفعل له أهل.
-أمسكت قلمي وقلت اليوم سأكتب أمراً مغايراً لما أكتبته في كل يوم. فالوطن في العيون، لكنني احتاج اليوم أن أكتب عن الحياة، عن الحب، عن أمور حياتية مختلفة. إنما بعيون متفاوتة، فقلت أو بالأحرى كتبت: أنا سورية، تعلمت في وطني وفي بيتي معنى الحرية، ورُبيت على أنني أعرف حدودي فلا أتجاوزها، إنما أحسن توظيفها. أنا سورية، عرفت قيمة العلم واستقدت مما قدّمه لي وطني من فرص، وأطلقت لمطوحي العنان. أنا سورية، استغلّلت في وطني مساواة الرجل والمرأة بحقهما في العمل، وأثبت جدارتي وحققت احتراممي لذاتي. أنا السورية ابنة عائلة دمشقية شجعنتني عندما بلغت الثامنة عشر من عمري على قيادة السيارة والتعامل مع الحضارة بمسؤولية واحترام. أنا سورية عرفت في صمودك يا وطني أنك عزيزي ومجدي وبقاتي. أنا سورية أرضها يا وطني أن أغادر تراكب وأنت تعانني من كل هذه الآلام. أنا سورية يقيني أن النصر آت وأنك غدا ستحقق كل الأمال، وهكذا وجدت أن قلمي يكتب إحساسي من دون اختيار مني، أو أي إماء. وطني، وإن اشتدت بك المحن، فيك كان المبتدئ، عشت بحضنك ترعرعت بخبرك، تعلمت فيك الحب والوفا، جافاك من لم يكن يوماً لعزك ساعياً. شغلّه الأنا فكان برضاك زاهداً، سأنفي مع كل من شبّ ظملي للعهده حافظا، ويقدم النصر مبشراً، وفي رحابك الطاهرة ينشد دوما المنتهي. فيا وطني يا وطن الياسمين، متى سيتهني بك الأئين؟

رشا مارديني

رانيا الموصو